الأحياء القصديرية في مدينة الجزائر
دراسة تاريخية اجتماعية 1930-1958
Slums in Algiers Social Historical Study 1930-1958

1- كلثوم ميدان *، جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله (الجزائر)
kal.meid06@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2024/03/30 تاريخ القبول: 2024/05/31 تاريخ النشر: 2024/06/27

ملخص :

ان الدراسات حول موضوع الاحياء القصديرية في المدن الجزائرية غائبة في الكتابات المتخصصة خلال الفترة الاستعمارية وبعدها لكنها حاضرة في دائرة اهتمام الجغرافيين وعلماء الاجتماع في مجال الدراسات الحضرية، أن اهتمامنا بموضوع الاحياء القصديرية اثناء فترة الاحتلال دفعنا للتساؤل حول:

- المعالم الكبرى لتطور هذه الظاهرة بمدينة الجزائر .
- الاسباب الكامنة وراء استفحالها.
- المواقف السياسية من هذه الظاهرة اثناء الاحتلال وبعد الاستقلال.

ان تعاظم تيار النزوح الريفي نحو المدن بعد الحرب العالمية الاولى انتج مدن الصفيح سكنها جزائريون نزحوا اليها بسبب توفر الصناعة والموانئ وفرص العمل امام غياب سياسة سكانية واضحة للجزائريين فلجأوا الى بناء احياء القصدير بوسائل بدائية داخل حدود البلديات .

نستنتج من هذا ان السيطرة الاستعمارية وادخال النموذج الرأسمالي والادارة المباشرة سبب تفاقم الازمة ضف الى ذلك مصادرة اراضي الجزائريين .كما عجزت المدينة عن استيعاب اعداد النازحين رغم صور الرفاهية بداخلها وعلى حل مشكلة الاحياء القصديرية التي استمرت بعد الاستقلال.

الكلمات المفتاحية: احياء القصدير ،مدينة الجزائر ،السكان،النزوح الريفي،الاحتلال.

*- المؤلف المرسل

Abstract:
Studies on the topic of slum biology in Algerian cities are absent in specialized literature during the colonial period and thereafter but are present in the interest of geographers and sociologists in the field of urban studies.
Our interest in the topic of tale revivals during the period of occupation led us to question:
- The major features of the development of this phenomenon in Algiers.
- The reasons behind its escalation.
- Political attitudes towards this phenomenon during the occupation and after independence.
The growing trend of rural displacement towards cities after the First World War resulted in towns inhabited by Algerians who were displaced due to the availability of industry, ports and employment opportunities in the absence of a clear population policy for Algerians to build tin revival by rudimentary means within municipal boundaries.
From this, we conclude that colonial domination and the introduction of the capitalist model and direct administration caused the crisis to worsen, as well as the confiscation of Algerians' lands. The city also failed to accommodate the number of displaced persons despite the images of well-being within it and to solve the problem of cantonal neighbourhoods. which continued after independence.
Keywords : Revival of the tin ; the city of Algeria ; population ; rural displacement ; concession.

مقدمة:

إنّ موضوع الأحياء القصديرية في المدن الجزائرية أثناء فترة الاحتلال الفرنسي وبعدها، يكاد يكون غائبا في الكتابات المتخصصة في مجال الدراسة الجغرافية على وجه التحديد لذلك كان من الواجب أن نتطرق لهذا الموضوع وهو موضوع "الأحياء القصديرية بمدينة الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي" لأنّه يشكل ظاهرة برزت مع بداية القرن العشرين داخل المدن الجزائرية الكبيرة ورأينا أن نتناوله لأنّه واحد من أهم مظاهر التهميش والاستغلال والتفرقة للسكان الجزائريين الذين حرموا من السكن في مدينتهم، تلك المدينة التي احتلت وهدمت وهجّر سكانها وبني على أنقاضها مدينة أوروبية.

إنّ ظهور الأحياء القصديرية بمدينة الجزائر جاء ليفضح السياسة العمرانية للاحتلال التي أقصت الجزائريين الأصليين من حقهم في السكن داخل مدينتهم، هذه المدينة التي حظي فيها العنصر الدخيل الفرنسي والأوروبي بكل الامتيازات، مدينة تجسدت فيها أشكال هندسية مستوردة عبرت عن غرور وتفوق المحتل في حين لم يجد الجزائريون حيزا ضيقا للسكن فيها.

كل هذه الأسباب دفعتنا للتساؤل حول مكانة الجزائريين داخل مدينة الجزائر وهل شملتهم مشاريع الإسكان، و لماذا ظهرت الأحياء القصديريه بها.

ان الكتابات الجزائرية وغير الجزائرية لا تختلف في معالجة هذه الظاهرة وتجمع تقريبا كلها على اعتبار ان الأسباب التاريخية هي التي كانت وراء ظهورها وتفاقمها قبل وأثناء وبعد الثورة التحريرية، كما ربطوها بالاضطرابات الاجتماعية وبالعنف والسياسات الاقتصادية التي ساهمت في التدمير المادي والمعنوي للمجتمع الجزائري عامة والفلاح الجزائري خاصة.

كما ربطوها بالبنى الاقتصادية الجديدة التي استحدثها الاحتلال، وبالانقلاب في الإنتاج الرأسمالي وفي التركيبة الاجتماعية وسرعة ظهور القوانين والقرارات والمراسيم لصالح الأوروبيين.

لقد أنجزت هذه الأبحاث والدراسات أثناء الثورة التحريرية وبعدها وهي تحقيقات ميدانية حسب مناهج كل من الجغرافيين وعلماء الاجتماع وهو ما جعلها غنية ودقيقة لأنها تضمنت خرائط وجداول بيانية. وفي نظري تعد هذه الدراسات والأبحاث مصدر مهم لكتابة تاريخ المدن الجزائرية إبان الحقبة الاستعمارية وبعدها، حتى تتجدد نظرتنا ورؤيتنا لتاريخ المقاومة الوطنية والسيطرة الأجنبية وتداعياتها منذ 1830.

حاولت في مداخلتي هذه توضيح ثلاث نقاط هامة تخص موضوع أحياء القصدير. أولها يتعلق بالمعالم الكبرى لتطور هذه الظاهرة في مدينة الجزائر قبل وخلال فترة 1930-1958. كذلك إبراز الأصول الجغرافية للجزائريين النازحين مع تعريف أصناف أحياء القصدير وطرق دمج ساكنيها بالمدينة.

كما حاولت في مداخلتي هذه توضيح أنّ دراسة ظاهرة "الأحياء القصديرية" كانت من طرف علماء الاجتماع والجغرافيين وليس علماء التاريخ وركزت على الجزائريين منهم وحتى الأوروبيين في محاولة مني لاحتواء الموضوع.

1- الأسباب التاريخية والسياسية لظهور الأحياء القصديرية

يتحمل الاستعمار الفرنسي مسؤولية كبيرة فيما يخص الوضعية المزرية والتدمير المادي والمعنوي الذي عاشه الجزائريون، إذ جلب معه الاقتصاد الرأسمالي، وتسبب في تهديم البنى الاقتصادية للمجتمع الجزائري وأصدر قوانين ومراسيم إدارية لصالح المعمرين والإدارة

الفرنسية[1]، وأصدق مثال على ذلك قانون سيناتوس كونسيلت الصادر في 22 أفريل 1863 والذي منح للمعمرين حق الملكية الفردية داخل الأراضي الجماعية، وأصدر قرارات صارمة من أجل انتقال الأراضي الجماعية إلى الملكية الفردية، وأخضع ملكيات الأهالي إلى القانون الفرنسي[2]، وبذلك يكون هذا القانون قد ساهم في تهديم أسس المجتمع الجزائري التقليدية التي كانت مبنية على الملكية الجماعية وكان الفرد محمي من طرف الجماعة.

ورغم المقاومات الشعبية والانتفاضات التي قام بها الجزائريون، فإن الاحتلال استمر في دعم سياسته بسلسلة من الإجراءات، إذ أصدر في 26 جويلية 1873 قانون فارنيي Varnier الذي أحدث فروقا اجتماعية كبيرة ناتجة عن تدمير الاقتصاد الجزائري واستبداله بقوانين استعمارية رأسمالية جديدة أدت إلى تفكيك الملكية الجماعية وحرمان الجزائريين من حقهم في الأرض[3].

كما قام المعمرون بالاستيلاء على الأراضي الخصبة، وغيروا علاقات الإنتاج، وساهمت سياسة الاحتلال في تفتيت الملكيات وتقسيم الأراضي، وأدت الظروف الطبيعية الصعبة والمشاكل المادية إلى دفع الفلاح الجزائري للتخلي تدريجيا عن أرضه وأملاكه مُكرها، في حين

---

[1] Sari (Djilali) : La dépossession des fellahs, Sned, Alger, 1975, pp 99-144.

[2] BENATIA (F) : Du sous-développement urbain des bidonvilles à Alger, Doctorat d'état, Alger, 1976, p 4.

[3] BENACHNHOU (A) : La formation do sous-développement en Algérie, essai sur les limites du Capitalisme en Algérie 1830-1962, Imprimerie Commerciale, Alger, 1978, p 284.

استفاد المعمرون وبعض كبار ملاك الأراضي من الجزائريين، فأصبحوا يملكونها دون العمل فيها[1].

بناء على ما تقدم يمكن ملاحظة العلاقة الكبيرة بين ظهور الأحياء القصديرية والاحتلال الفرنسي، وبإجماع من الباحثين وعلماء الاجتماع الذين اعتمدت عليهم في هذا الموضوع، هنالك علاقة وطيدة سماها الكاتبان بورديو وصياد Bourdieu et Sayad بـ "انجراف الطبقة الفلاحية الجزائرية في حركة كارثية"[2]. في إشارة منهما إلى تظافر عدة عوامل أهمها في نظر الكاتبان،الى سلب الملكية العقارية والضغط السكاني .

ومن بين الملاحظات التي ركز عليها الباحثون المتعلقة بالموضوع نجد التركيز على العلاقة المباشرة بين التطورات المذكورة وبين ظهور أحياء القصدير وأنّ هذه الظاهرة تعاظمت بشكل محسوس بعد الحرب العالمية الأولى 1914-1918، حيث ظهرت أولى التجمعات السكنية العشوائية واستمرت خلال أعوام. يضاف إلى ذلك توجه النازحين إلى المدن الكبرى مثل وهران وعنابة والجزائر أكثر من غيرها لاعتقادهم بأنها توفر فرص للعمل فهي مدن كبيرة تملك الموانئ والمراكز الصناعية كما تسهل الهجرة إلى فرنسا[3].

فيما يتعلق بمدينة الجزائر على الخصوص فإن الأحياء القصديرية بها بدأت تظهر بين 1926-1930، ويصعب إعطاء تاريخ محدد فلا وجود لشهادة ميلاد أحياء القصدير في هذه

---

[1] BENACHENHOU (A) : op. cit, p 302.

[2] BOURDIEU et SAYAD : Le déracinement, la crise de l'Agriculture traditionnelle en Algérie, le éditions de Minuit, 1977, p 17.

[3] JORDI (JJ) ; Alger 1860-1930, le model ambigu du triomphe Colonial, ed. Autrement, Paris 1999, p 39.

المدينة على حد عبارة جورج توريس الساخرة: "لم أحظ بشرف وضع حجر أساس من قبل شخصية رسمية"[1].

وقد يفتش المرء على ما يمكن تسميته بموقع حي قصديري على خريطة المدينة أو على لوحه إشارة لكن دون جدوى[2]، ذلك أنّ استفحال هذه الظاهرة عرف في حد ذاته تجاهل من طرف الجهات الرسمية في محاولة منها لإخفائها، لكن توسعها وانتشارها فرض نفسه وأقلق السلطات التي بدأت تطاردها بصفة دائمة ورغم ذلك نجح بعض من النازحين في التمركز وأنشأوا مجمعات من البيوت القصديرية Gourbis أي أكواخ مبنية بوسائل جد بسيطة ومختلفة[3].

2- تطور ظاهرة أحياء القصدير في مدينة الجزائر أثناء الثورة التحريرية

تفاقمت ظاهرة الأحياء القصديرية أثناء الثورة التحريرية بصورة كبيرة، فالنازحون قصدوا مدينة الجزائر في بداية الأمر من جهتين محددتين داخل المدينة، وهما القصبة وأعالي حي بلكور والحامة، الأمر الذي نتج عنه ارتفاع كبير وملفت في الكثافة السكانية والتي كانت كبيرة أصلا من قبل لتصل إلى حوالي 2819 ن/الهكتار هذا عام 1931 وحوالي 3500 ن/الهكتار عام 1947 وارتفعت أزيد من ذلك أثناء الثورة التحريرية وباتت الغرفة الواحدة

[1] TORRES (G) : Les bidonvilles d'Alger, étude de Géographie Urbaine et sociale, D.E.S, Université d'Aix Marseille 1953, p 11.

[2] DECLOITRES (R) et REVERDY (J.C). L'Algérie des bidonvilles, le tiers monde dans la cité, ed. Mouton et Co, la Haye, Paris, 1961, p 13.

[3] TORRES (G): op. cit, pp 12-13.

تأوي من 13 إلى 14 شخص. وأمام هذا المشكل تحرك قسم من المعنيين بالاكتظاظ باتجاه مواقع جديدة وحتى بعيدة مثل حي القطار وحي محي الدين وهو الأمر الذي يؤرخ لبدء مرحلة جديدة[1].

وشيئا فشيئا راحت الأحياء القصديرية تتكاثر داخل الحدود الإقليمية لبلدية الجزائر وخارجها حتى بلغ مجموعها بين 87 و90 موقعا بتاريخ 1953 و1954 موزعة تقريبا في كل المناطق بداية بسانت أوجين (بولوغين) وبوزريعة والأبيار وبئر مراد رايس والقبة والدار المربعة (الحراش)[2].

أمّا المرحلة الثالثة لموجة النزوح الريفي نحو المدن فلقد حدثت على إثر إنشاء جيش الاحتلال للمحتشدات المسمات مناطق التجميع في الأدبيات الاستعمارية، التي اقتيد إليها سكان القرى بعد تدمير بيوتهم في إطار عمليات خلق الفراغ حول مواقع جيش التحرير الجزائري[3]، حيث كتب مصطفى الأشرف مقال في هذا الشأن ذكر فيه أنّ "من بين كافة الإجراءات الاقتصادية والاجتماعية المتخذة في إطار التهدئة لا شك أنّ تجميع السكان الريفيين هو الذي يشكل الامتداد الأوضح للقوانين العقارية الكبرى الصادرة أثناء القرن التاسع عشر[4].

---

[1] BENATIA (F): op. cit, p 260.

[2] Ibid.

[3] LACHEREF (M) : Constantes politiques et militaires dans la guerre Coloniale d'Algérie (1830-1960), in, L'Algérie : nation et Société, Maspero, Paris, 1966, pp 203-204.

[4] Ibid.

إنّ التجميع المشار إليه أدى إلى تسريع وتيرة تفقير سكان الريف من الجزائريين، إذ تشير بعض الإحصائيات إلى انخفاض عدد الملاك المزارعين بنسبة 33% سنة 1954 و1960 وانخفض عدد العمال الموسميين والدائمين بنسبة 28% خلال نفس الفترة، وأدى ذلك إلى تسريع وتيرة النزوح إلى المدن وارتفعت نسبة السكان الجزائريين فيما بين 1954 و1960 بـ 67% في مقاطعة الجزائر و63% في مقاطعة قسنطينة و48% في مقاطعة وهران[1]. بالنسبة لمدينة الجزائر بالتحديد انعكس ذلك الارتفاع في ظهور أحياء جديدة في كل من حي مصطفى وبئر مراد رايس والقبة[2].

3- أصول ساكني أحياء القصديروتصنيف تجمعاتهم

بناء على ما ذكره جورج توريس في كتابه "الأحياء القصديرية بمدينة الجزائر" فيما يخص أصول ساكني الأحياء القصديرية في الفترة ما بين 1941-1953، خاصة في حي محي الدين، فإنّ معظمهم كانوا ينحدرون من المناطق الريفية الداخلية بغض النظر عن بعض الحالات النادرة جدا. فمعظمهم كانوا وافدين من مقاطعة الجزائر، ويأتي بعدهم في المرتبة الثانية وافدين من مقاطعة قسنطينة ثم من الجنوب الشرقي في المرتبة الثالثة، في حين لم يلاحظ منحدرون من مقاطعة وهران[3].

[1] BOURDIEU et SAYAD. op.cit, pp 15-21.

[2] BENATIA (F): op. cit, p 263.

[3] TORRES (G): op. cit, pp 91-99.

كما لاحظ توريس أنّ ساكني حي محي الذين كانوا ينتسبون إلى نفس الوحدات الإدارية التابعة للمقاطعات التي جاءوا منها وهي وحدات كانت تشكل في نفس الوقت نقاط انطلاق الهجرة إلى فرنسا[1].

ومن جانبه اهتم فاروق بن عطية وبصورة خاصة بدراسة العلاقات المتبادلة بين حي الإقامة والأصل الجغرافي للمقيمين في عدد من أحياء القصدير بالعاصمة الجزائرية بعد الاستقلال، وإن كانت معطيات النزوح قد تغيرت

لكنه يتفق مع جورج توريس في التوجه العام لهذه الظاهرة أي أنّ معظم النازحين قبل وبعد الاستقلال جاؤوا من ولاية الوسط (التيطري) بنسبة 47% ثم ولايات الشرق بنسبة 26.75% بينما تقاسمت ولايات متفرقة بقية النسب[2].

هذا ويوضح فاروق بن عطية أنّ حركة النزوح مست 70% من الجزائريين المقيمين في البلديات الريفية والمدن الصغرى حسب هذه النسب:

- 28.2% نشأوا وعاشوا في المدن الكبرى.
- 15.1% قدموا من مراكز حضرية ثانوية.
- 44.5% قدموا من بلديات ريفية مباشرة[3].

[1] Ibid.

[2] BENATIA (F): op. cit, p 283.

[3] Ibid.

أمّا بورديو وصياد فلقد ربطا الأصول الجغرافية للنازحين الريفيين إلى المدن بعد عام 1954 بآثار العمليات الحربية التي توسعت وامتدت إلى مناطق كانت بمنأى عن السياسة الاستعمارية[1].

أمّا فيما يخص اختيار مواقع استقرار هؤلاء النازحون داخل المدينة أو خارجها، سواء بعد الحرب العالمية الثانية أو أثناء الثورة التحريرية، فلقد فضلوا اللجوء بصورة أساسية إلى المناطق البعيدة نسبيا عن قلب مدينة الجزائر، أي المساحات غير القابلة للبناء وحتى الخطرة منها مثل المنحدرات المطلة على البحر (أعالي بلكور مثلا)، والأراضي المحاذية للوديان (كما هو الحال بالنسبة لأحياء القطار ومجاز المرأة المتوحشة وأعالي القصبة)[2]. بعبارة أخرى كان هؤلاء النازحون يقصدون الأماكن التي أهملتها المدينة الأوروبية والتي شكلت في كثير من الأحيان مخاطر بسبب الانزلاقات الأرضية بعد تساقط الأمطار مخلفة بذلك ضحايا، غير أنّ هذه المخاطر لم تكن تمنع البناء عليها.

ضف إلى ذلك أنّ هذه المساحات غير الصالحة للبناء كانت في الأصل ملكا للبلدية أو الأشخاص ولم تكن مسيجة، الأمر الذي جعلها تتحول إلى أحياء قصديرية[3].

[1] BOURDIEU et SAYAD : op. cit, p 23.

[2] TORRES (G) op. cit, p. 37.

[3] TORRES (G) : op. cit, p 39.

وللإشارة فقط فإنّ بعض ملاك الأراضي كانوا هم من يقومون ببناء البيوت القصديريه فوق الأراضي التي يملكونها فيؤجرونها للنازحين الذين يدفعون مبالغ مالية مقدما مقابل السكن فيها، في حين يلجأ آخرون إلى بيعها[1].

في خضم ذلك الانتشار أخذت البيوت القصديرية تتحول تدريجيا إلى ظاهرة مركبة لم يعد من السهل على السلطات تجاهل آثارها أو فك عقدها ولا حتى على الباحثين دراستها، فهذه الأحياء لا تنتسب إلى المدينة ولا تنتسب إلى الريف بل هي ظاهرة جديدة عليهما.

هذا وتكمن خصوصية هذه الأحياء القصديرية حسب ديكلواتر وزميله في أنّها تمثل فضاء لظاهرة اجتماعية جديدة فهي من حيث الكم ظاهرة خاصة بالمجال الحضري دون أدنى شك. فلقد أثبتت الإحصائيات السكانية في عام 1954 أنّ من بين مجموع "العشش" أو البيوت القصديرية القابلة للتصنيف ضمن الصنف "القصديري" والمقدرة بـ 000 52 كانت 000 40 منها تقع في البلديات الحضرية[2].

هذا ويوضح هؤلاء الباحثون عند اطلاعهم على النصوص الصادرة عن الإدارة الرسمية حول هذا الموضوع، أنّ الإدارة الاستعمارية تعاملت بمرونة فيما يخص تسميات هذه التجمعات دون ذكر عبارة "حي قصديري" في وثائق بلدية الجزائر بالذات بل فضلوا عبارة "تجمعات". وكان عدد المواقع المقيدة عندهم تحمل هذا الاسم وبلغ عددها 161 موقعا. غير أنّ هذه المواقع كانت في الحقيقة تشمل أصنافا متباينة من هذه السكنات الهشة والصنف الذي كان يمثل الأغلبية الساحقة ضمن ذلك المجموع بلغ 90 موقعا، وعبارة عن

[1] TORRES (G) : op. cit, p 40.

[2] DECLOITRES (R) et REVERDY (J.C), op. cit, pp. 26-27.

كثل من الأعشاش لا يتجاوز عدد قاطني كل واحدة منها 100 شخص، وهو ما يدل على كثافة النازحين في كل شبر من الأراضي الشاغرة[1].

وباختصار لا تزيد أحياء القصدير الحقيقية حسب هؤلاء الباحثين عن سبعة أحياء وهي تأوي منفردة أكثر من 1000 شخص، وتجمع ثلاثة أرباع سكان حي القصدير وأهمها في حسين داي والدار المربعة (الحراش) وهي أحياء قصديرية داخل العمران الحضري على عكس أحياء واد أوشايح والهواء الجميل[2].

أمّا فاروق بن عطية فإنّ له تصنيفا آخرا فيما يخص الأحياء القصديرية مبني على مستوى التكامل الداخلي للأحياء ودرجة ارتباطها بالمدينة على صعيد احتياجاتها وليس على مستوى تعداد السكان فيها فهو بذلك يعطينا ثلاثة أصناف:

1/ الصنف الأول سماه بالأحياء المصغرة وهي مجموعات محدودة من العشش المتناثرة في الطبيعة.

2/ أحياء قصديرية تابعة أو مندمجة في أحياء المدينة.

3/ أحياء مستقلة ذاتيا أي التي بلغ التكامل بين وظائفها وخدماتها مرحلة متقدمة جعلت منها أحياء متميزة[3].

---

[1] DECLOITRES (R) ET REVERDY (JC); op. cit, pp 28-31.
Regroupement, lotissement, cité, bidonvilles: تجمعات

[2] Op. cit, pp 26-73.

[3] BENATIA (F), op. cit, p 264.

أمّا الصنف الثالث "المستقلة ذاتيا" فلقد تطورت حسب فاروق بن عطية بظهور دكاكين بقالة وخضر ونقاط بيع الحليب والخبز ثم انتقلت إلى مرحلة ثانية عندما توفرت فيها محلات حلاقة وألبسة مستعملة ودكاكين لتصليح الأحذية والأثاث المستعمل ومواد البناء المسترجعة والمقصود بها ألواح وصفائح وحديد ...إلخ[1].

ومهما يكن التصنيف المعتمد سواء من طرف السلطات الرسمية أو من طرف الباحثين فإنّ وجود هذه الأحياء بمدينة الجزائر كان يطرح مشاكل عديدة من بينها مشكل دمج سكانها.

4- توجهات السياسة الاستعمارية اتجاه الأحياء القصديرية

يرى جورج توريس أنّ للسياسة الاستعمارية الفرنسية الخاصة بأحياء القصدير في مدينة الجزائر ثلاث مظاهر:

- في بداية الأمر تجاهلت السلطات الاستعمارية الطبيعة السياسية والاجتماعية للمشكل المطروح، بل حاولت إخفاءه وانتابها شعور بالهلع مما قد يتولد عنه، كما تجاهلت الصلة التي تربط الظاهرة ككل بالاحتلال والاستغلال الاستعماريين.
- ثم زعمت أنّ الإدارات المعنية تبذل ما في وسعها لإيجاد الحلول المناسبة لا سيما عن طريق تخصيص البرامج السكنية اللازمة.
- ضخمت من صدى الحوادث ذات الصلة بقاطني الأحياء القصديرية[2].

[1] Ibid.

[2] TORRES (G): op. cit, p 11.

أمّا فاروق بن عطية فقد رسم مسار تطور ذلك السلوك على نحو مختلف عن طوريس فهو يرى أنّ السيطرة الاستعمارية وإدخال الرأسمالية والإدارة المباشرة للموارد ساعدت على تنظيم المدن حسب استراتيجية خاصة مبنية على إيديولوجية كفيلة بحجز مناطق حضرية ممتازة ومهيأة للأقلية الأوروبية. لكن اختراق الريفيين وضغطهم المتزايد وتهميشهم وحضورهم المسبب للوسواس شكل عوامل دفعت بالأوروبيين إلى إقامة بنايات للأهالي على وقع تكاثر المطالب الاجتماعية ثم السياسية[1].

3- مشاريع إعادة إسكان المقيمين في الأحياء القصديرية

لم تركز ماريا سقروى دوفرين في التحقيقات التي قامت بها على مظاهر سلوك السلطات الاستعمارية اتجاه ظهور وتزايد أحياء القصدير في مدينة الجزائر بل فضلت أن تتناول دور السلطات في تطوير تحويل الملكية العقارية ضمن آليات قانون العرض والطلب وقد أرفقت بحثها بمجموعة كبيرة من الوثائق والخرائط والجداول.

اعتبرت هذه الباحثة أنّ السلوك الحقيقي للإدارة الاستعمارية تمثل في تقليص حدّة التناقضات واحتواء النزاعات بين الأطراف المتنافسة حول العقار الخاص بالسكن التي فسرتها بـ:

1/ الارتفاع الشديد للطلب على السكن المنخفض الإيجار.

2/ الزيادة السكانية الكبيرة عند الجزائريين.

[1] BENATIA (F), op. cit, p 13.

3/ أنّ العرض كان يخضع لمزيد من الانتقائية الاثنية والاجتماعية[1].

وحسب الباحثة فإنّ أزمة السكن لم تكن جديدة بل سبق للحكومة الفرنسية أن قررت في عام 1943 القيام بثلاث برامج متكاملة تهدف إلى كبح جماح النزوح الريفي وتوجيه عدد من النازحين نحو فرنسا من جهة وإنجاز برنامج سكني خاص بالجزائريين من جهة ثانية[2].

وفي هذا الإطار تقرر بناء "حي إعادة الإسكان" مكون من منازل زهيدة الكلفة مقابل إزالة كل حي قصديري، لكن الحصيلة في هذا الباب لم تتعد عام 1954 بناء سوى خمس أحياء من هذا النوع في مدينة الجزائر وهي الأحياء التي باتت معروفه بالأسماء الآتية: حي جنان حسان، السكالا نادور وكلو صالومبي وبوكل بيريز. غير أنّ موجة النزوح الريفي نحو المدينة لم تنخفض ولم تتوقف بل ذهب عدد القاطنين في أحياء القصدير التابعة لمدينة الجزائر يزداد ويرتفع بعد عام 1954 من حوالي 000 84 إلى 000 135 عام 1960 واستمر ارتفاع عدد الأكواخ في نفس الوتيرة من 560 14 إلى 000 17 كوخ.

وحتى تضع ماريا سقروى دوفرين النتيجه التي توصلت إليها ضمن تقييم أشمل لتلك السياسة الاقتصادية المتبعة غداة الحرب العالمية الثانية، خلصت الباحثة في دراستها إلى

[1] DUFRESNE MARIA SGROI ; La politique urbaine à Alger, continuités et ruptures, thèse de 3ème cycle, université de Paris, 1983, p 97.

[2] Ibid.

القول بأنّ "السياسة الفلاحية في مجموعها ذهبت في اتجاه معاكس للأهداف المسطرة وهي المحافظة على الاستقرار الاجتماعي"[1]

و هي نفس وجهة نظر عبد اللطيف بن أشنهو في تحليله، فهو يذكر أنّه بين 1949 و1954 لم يتم في الأرياف إعادة تثبيت سوى 1790 فلاح ولم تتجاوز المساحة المزروعة 900 18 هكتار. في المقابل أدت السياسة الفلاحية الجديدة إلى دمج عدد من أصحاب الملكيات المتوسطة والكبيرة ضمن طبقة الرأسماليين الزراعية، كما لم يتم تحقيق نتائج مهمة في مجال مكافحة البطالة، إذ جرى إنشاء145 الف منصب شغل مأجور في المدن بينما بلغ عدد العاطلين 000 250 من الذكور، واستمر عددهم في التصاعد واستقبلت المدن الساحلية الرئيسية الثمانية 000 420 نازح جديد[2].

فيما يخص برامج السكن التي كانت مقررة لفائدة أحياء القصدير، فعلى حسب الكاتبة جرى الترويج لذلك في البرامج التي تبنتها بلدية الجزائر في عام 1955 باعتباره أضخم البرامج السكنية في الحقبة الاستعمارية، وقد كان الهدف من وراء ذلك هو إقامة أربعة مجمعات بإجمالي 5700 مسكن وهي التي عرفت تحت أسماء: ديار السعادة وديار المحصول وديار مناخ فرنسا والكاليتوس.

[1] Ibid.

[2] BENACHNHOU (A) op. cit, pp 284-302.

وأثناء تنفيذ هذه البرامج لوحظ أنّ مستوى إنجاز السكنات عاد إلى المستوى الذي سبق أن بلغه عام 1934 -والذي كان قياسيا-، لكن تلك العودة تمت بعد أن سجل عدد النازحين من الريف إلى أحياء القصدير زيادة قدرت بحوالي 000 111 فرد[1].

4- المأزق

ذكر دي كلواتر أنّ مدينة الجزائر كانت عاجزة عن حل مشكل أحياء القصدير بالرغم من صور الرفاهية التي كانت تعرضها على الزائر. فعندما كانت السلطات المعنية تعلن عن التزامها بهدم حي قصديري فور إنجاز المشروع المخصص لسكانه، فإنّ ما كان يتحقق على أرض الواقع هو توزيع السكنات المنجزة وبقاء الحي القصديري على حاله، وكانت آخر مرة وقعت فيها مثل هذه العملية هي عندما جرى توزيع سكنات حي مناخ فرنسا عام 1960[2].

هذا ويفسر هؤلاء الباحثون على أنّ سبب تجدد هذا المأزق باستمرار هو سبب اقتصادي تمثل في استحالة استفادة أكثرية عائلات الأحياء القصديرية من سكنات لا تستطيع دفع كرائها في كثير من الاحيان [3].

اما بورديو وصياد، فهما يفسران السياسة الرسمية الصادرة عن الإدارة الاستعمارية والمعتمدة بقولهما:

"حتى عندما يتحلى التدخل الاستعماري بلمسة ليبرالية إنسانية، أنّه يحمل تناقضا غير قابل للتجاوز وأنّ المسؤولين عن هذه السياسة كونهم يجهلون ويريدون أن يجهلوا منطق

---

[1] SGROÏ-DUFRESNE Maria : op. cit, p 123.

[2] DECLOITRES (R) : op. cit, p112.

[3] DECLOITRES (R) : p112.

المجتمع الذي يعملون عليه، وبالأحرى، كون هذا الجهل وهذا الاحتقار هما شرطا عملهم، فإنهم لا يستطيعون تقدير التبعات الكارثية لتلك السياسة وأقل من ذلك توقع التدخلات الضرورية لتحويلها إلى الإيجاب".

وأضاف المؤلفان المذكوران أنّه حتى إذا تصور أولئك المسؤولون مثل هذه التدخلات الضرورية فإنّه "يستحيل من حيث الجوهر أن يتوقع التدخل الاستعماري وأن يتبنى تبعات الاضطرابات التي أحدثها من تلقاء نفسه لأنّ ذلك يعني إعادة النظر في المبدأ الذي أتاح إمكانية التدخل الأصلي، بمعنى النظام الاستعماري نفسه"[1]

حسب الباحثة ماريا سقروى دوفرين فإنّ مدينة الجزائر كانت تعيش حركة بناء نشيطة لكنها كانت غير موجهة لتلبية احتياجات السكان المنتمين للطبقات الشعبية، ففي الوقت الذي كان يتم فيه تشييد العمارات في إطار مشاريع الإدارة، كان جزائريون كثيرون عاجزين عن استئجار الشقق التي تعرض عليهم[2].

وفيما يتعلق بالنازحين من الريف بصفه أخص، لا شك أنّه كان لبعض العوامل كاحتمال الحصول على أجور أعلى، والبحث عن شيء من الأمن في ظل الحرب منذ 1954، كان لها دور في دفعهم اتجاه مدينة الجزائر، لكن ضعف مواردهم كان السبب في انتشار

[1] BOURDIEU : p 38.

[2] SGROÏ-DUFRESNE Maria: op. cit, pp 123-127.

أحياء القصدير، لأنها لم تسمح لهم بدفع الكراء المطلوب حتى في أحياء إعادة الإسكان والمقدر بحوالي تسعة آلاف فرنك شهريا[1].

وبصورة عامة اشترك الباحثون في تقييمهم للفترة التي سبقت 1962 على الأقل.

لقد كان وزن مدينة الجزائر ومعه وزن مركزها يزداد على حساب ضاحيتها وذلك ليس على مستوى الوظائف الاقتصادية والإدارية الهامة فقط، ولكن أيضا فيما يخص الوظائف المرتبطة بالإقامة، كالوظيفة المدرسية والطبية والتي كانت مركزة بكثرة في المدينة[2].

وبما أنّه لم يكن باستطاعة أغلبية الجزائريين أن يعول إلا على مشاريع الجماعات المحلية نظرا لغلاء السكنات المنجزة تقرر أن يستهدف "مخطط قسنطينة" الذي أطلقه الجنرال ديغول في 1958، إعادة توجيه البرامج الاقتصادية نحو المتطلبات الاجتماعية حيث نصت التعليمة الصادرة عن مديرية الأشغال العمومية والبناء والنقل بتاريخ 07 مارس 1960، على ثلاثة إجراءات للقضاء على الأحياء القصديرية وهي:

1) خلق مناصب استقبال قريبة من المراكز الحضرية الكبرى على أن تكون مدمجة ضمن القرى الموجودة.

2) تهيئة هذه المناطق وتجهيزها بالمرافق الجماعية الضرورية.

3) إزالة أحياء القصدير الموجودة وإحلال أحياء إعادة إسكان محلها.

وفي هذا الإطار جرى تجميد كل أنشطة البناء داخل المدينة بداية من عام 1961[1].

---

[1] Ibid.

[2] BENATIA (F): op. cit, pp 276-280.

5- بعد الاستقلال

قدر فاروق بن عطية نسبة الزيادة السكانية لمدينة الجزائر بين 1954 و1966 بـ 100% بناء على الإحصاء السكاني لعام 1966 والذي أظهر كذلك أنّ الكثافته السكانية أصبحت تبلغ 5550 ن/كم[2] وأرجعها الباحث إلى النزوح الريفي بصورة رئيسية وليس إلى النمو الطبيعي لسكان العاصمة، كما ذكر أنّ عدد البيوت القصديرية قد عاد إلى الارتفاع بفعل عوامل عديدة وليس بفعل النزوح الريفي، ومن بين هذه العوامل خروج عدد من السكان من الأحياء المكتظة بحثا عن ظروف أفضل وهي الحركة التي شبهها الباحث بما حدث خلال الثلاثينيات وهي حركه نزوح من القصبة نحو أحياء قصديرية أوسع وأرحب[2]

---

[1] BENATIA (F): op. cit, pp 276-280.

[2] BENATIA (F): op. cit, pp 276-280.

خاتمة:

يمكن القول أنّ الجامعيين الذين اهتموا بدراسة معضلة الأحياء القصديرية في مدينة الجزائر قبل 1962، والتي تحولت من مركز سلطة أجنبية إلى عاصمة للجزائريين بيّنوا أن هذا التحول كان يجري عبر سيرورة تغيرات اجتماعية كبيرة انطلقت من الأرياف في القرن التاسع عشر وتواصلت طيلة النصف الأول من القرن العشرين وأثناء الثورة التحريرية وبعد استرجاع السيادة الوطنية.

Bibliographie

1- Abdelatif BENACHNHOU : La formation de sous-développement en Algérie, essai sur les limités du capitalisme en Algérie 1830-1962, Imp Commerciale, Alger, 1978.

2- Djilali Sari : La dépossession des fellahs ,Sned ,Alger ,1975.

3- Farouk BENATIA : Du sous-développement urbain des bidonvilles à Alger, Doctorat d'état, Alger, 1976.

4- Georges TORRES : Les bidonvilles d'Alger étude de géographie urbaine et sociale, D.E.S, Université d'Aix, Marseille, 1953.

5- Jean Jacques JORDI : Alger 1860-1939, le model ambigu du triomphe Colonial, ed. Autrement, Paris, 1999.

6- Pierre BOURDIEU, Abdelmalek SAYAD : Le déracinement, la crise de l'Agriculture traditionnelle en Algérie, les Editions de Minuit, 1977.

7- Robert DECLOITRES et Jean Claude REVERDY : L'Algérie des bidonvilles, le tiers monde dans la cité, Ed. Mouton et Co, la Haye, Paris, 1961.

8- Maria SGROI-DUFRESNE :La politique urbaine a Alger ,continuités et ruptures,T1,these de 3eme cycle,Paris,1983.